المعهد المصري للدراسات
EGYPTIAN INSTITUTE FOR STUDIES

تقديرات

«حرب الظل» في قلب أوروبا.. لماذا تقول ألمانيا إن التهديد الجديد يتجاوز الحرب الباردة؟

27 نوفمبر 2026

صوفيا خوجاباشي



TURKEY- ISTANBUL
Bahçelievler, Yenibosna Mh 29 Ekim Cad. No: 7 A2 Blok 3. Plaza D: 64
Tel/Fax: +90 212 227 2262 E-Mail: info@eis-eg.org

WWW.EIPSS-EG.ORG
Eipss.EG Eis_EG

November 27, 2026

«حرب الظل» في قلب أوروبا.. لماذا تقول ألمانيا إن التهديد الجديد يتجاوز الحرب الباردة؟

صوفيا خوجاباشي

من المسيّرات المحملة بالمتفجرات إلى الهجمات السيبرانية والتخريب وحملات التضليل، ترسم التحذيرات الأمنية في ألمانيا مؤخرًا صورة لمواجهة مختلفة مع روسيا؛ مواجهة تجري تحت عتبة الحرب التقليدية، لكنها باتت، في تقديرات مسؤولين ألمان وأوروبيين، أكثر جرأة وقدرة على إحداث اضطراب مباشر داخل دول حلف شمال الأطلسي.

لم يكن استخدام وزير الداخلية الألماني ألكسندر دوبرينت تعبير «**حرب الظل**» في وصف التهديدات التي تواجهها بلاده مجرد استعارة سياسية. ففي 12 أكتوبر/تشرين الأول، حذر دوبرينت من أن ألمانيا تواجه ما وصفه بحرب ظل يتجاوز نطاقها، وفق تقييمه، ما عرفته البلاد خلال الحرب الباردة، معتبراً أن هدفها يتمثل في «زعزعة» ألمانيا بصورة جوهرية.

وجاء التحذير خلال مؤتمر للمكتب الاتحادي لحماية الدستور BfV، جهاز الاستخبارات الداخلية الألماني، وسط نقاش متصاعد في برلين حول توسيع صلاحيات أجهزة الاستخبارات لمواجهة عمليات لا تأخذ شكل الهجوم العسكري التقليدي، لكنها تمتد من التجسس والهجمات السيبرانية والتضليل إلى التخريب ومحاولات الاغتيال والعمليات باستخدام المسيّرات.

ورغم أن دوبرينت لم يسمِّ روسيا مباشرة في حديثه عن «حرب الظل»، فإن رئيس الBfV سنان سيلين كان أكثر وضوحاً، إذ قال إن روسيا تستخدم «تقريباً كل الأدوات» المتاحة أمامها في العمليات الهجينة، بما يشمل حملات التضليل والتلاعب بالمعلومات والتخريب والتحضير لمخططات اغتيال داخل ألمانيا.

روسيا، من جهتها، تنفي الاتهامات الغربية المتكررة لها بتنفيذ عمليات تخريب وحرب هجينة، وتعتبرها اتهامات غير مثبتة تستخدم لتبرير توسيع القدرات الأمنية والعسكرية الأوروبية.

من العالم الافتراضي إلى المتفجرات

ما يجعل التحذير الألماني مختلفاً هذه المرة هو أن المخاوف لم تعد مقتصرة على الاختراقات الإلكترونية أو حملات التأثير الإعلامي.

في الخامس من أغسطس/آب الماضي، عُثر في مطار لايبزيغ/هاله شرقي ألمانيا على طائرة مسيّرة مزودة بمتفجرات احترافية وصاعق. وبعد يوم، تولى الادعاء العام الاتحادي التحقيق في القضية، واصفاً الحادث بأنه «هجوم خطير» على البنية التحتية الألمانية للنقل والخدمات اللوجستية وتهديداً للأمن الداخلي والخارجي للبلاد.

وبحسب تسلسل الأحداث الذي جمعته رويترز لاحقاً، عُثر على المسيّرة في المطار، الذي يُعد مركزاً رئيسياً للشحن والخدمات اللوجستية، ويستخدم أيضاً في عمليات مرتبطة بحلف الناتو وأوكرانيا، فيما اصطدمت مسيّرة ثانية مشتبه بها بطائرة شحن.

وفي الأول من سبتمبر/أيلول، قالت برلين إنها خلصت إلى أن الاستخبارات الروسية تقف وراء محاولة الهجوم، وأعلنت اتخاذ إجراءات دبلوماسية رداً على ذلك. موسكو رفضت الاتهام ووصفته بأنه مفبرك.

الحادثة شكلت نقطة تحول لأنها نقلت مفهوم «التهديد الهجين»، في النقاش الألماني على الأقل، من مساحة الهجمات الرقمية والتأثير السياسي إلى احتمال استخدام وسائل قادرة على التسبب بخسائر مادية وبشرية مباشرة.

كما أنها كشفت هشاشة جانب من البنية التحتية المدنية. فبعد أيام من الحادث، قال الرئيس التنفيذي لشركة الطاقة الألمانية العملاقة E.ON ليونهارد بيرنباوم إن ضمان الحماية الكاملة لشبكات الطاقة من المسيّرات أمر «غير واقعي» في الظروف الحالية، مشيراً إلى أن تأمين مئات نقاط الشبكات المنتشرة في البلاد يمثل تحدياً أكبر حتى من حماية المطارات.

سلسلة أحداث أم نمط أوسع؟

تزداد أهمية حادثة لايبزيغ عندما توضع ضمن سلسلة من وقائع التخريب التي شهدتها ألمانيا خلال العامين الأخيرين.

ففي يوليو/تموز 2024، اشتعلت طردة شُحنت عبر شركة DHL في مطار لايبزيغ قبل وقت قصير من تحميلها على طائرة متجهة إلى بريطانيا. وشهدت بريطانيا وبولندا حوادث مشابهة، وربط محققون أوروبيون لاحقاً تلك العمليات بمخطط تخريب روسي استخدمت فيه عبوات حارقة مخفية، وهو ما تنفي موسكو مسؤوليتها عنه.

وفي مايو/أيار 2025، ألقت السلطات الألمانية القبض على ثلاثة أوكرانيين للاشتباه بمشاركتهم في عمليات مرتبطة بمخطط الطرود، وقال الادعاء إن لهم اتصالات بأشخاص مرتبطين بمؤسسات روسية.

وفي أغسطس/آب الماضي، أدانت محكمة ألمانية مواطناً أوكرانياً لدوره في مخطط قالت النيابة والمحكمة إنه ارتبط بجهة روسية حكومية وكان يهدف إلى استطلاع فرص لتنفيذ أعمال تخريب مستقبلية في أوروبا.

لكن الصورة ليست أحادية المصدر. فقد شهدت ألمانيا كذلك اعتداءات على شبكات السكك الحديدية والطاقة نُسب بعضها إلى جماعات يسارية متطرفة محلية، بينما بقيت دوافع حوادث أخرى قيد التحقيق.

وهذا التفريق أساسي لفهم المشهد؛ ليس كل تخريب يقع في ألمانيا عملية روسية، لكن أجهزة الأمن ترى أن بعض الحوادث التي جرى التحقيق فيها وإثبات روابط خارجية لها أصبحت جزءاً من نمط أوسع يجب التعامل معه بصورة مختلفة.

الاستخبارات الألمانية: مرحلة أكثر خطورة

سبق تحذير وزير الداخلية بأسبوع تحذير أكثر حدة من رئيس جهاز الاستخبارات الخارجية الألماني BND مارتن يغر.

ففي جلسة علنية أمام البرلمان الألماني في الخامس من أكتوبر/تشرين الأول، قال يغر إن المواجهة مع روسيا اتخذت «بعداً جديداً وأكثر خطورة»، محذراً من أن ألمانيا باتت معرضة للانجرار إلى صراع عنيف مع موسكو.

وربط رئيس الاستخبارات الخارجية تحذيره مباشرة بمحاولة الهجوم في لايبزيغ، وقال إن خطر تنفيذ عمليات تستهدف منشآت داخل ألمانيا بات، وفق تقديره، «حقيقياً ووشيكاً».

ومع ذلك، وضع يغر حداً مهماً لهذا السيناريو، إذ قال إنه لا توجد مؤشرات على هجوم روسي واسع ووشيك ضد أراضي حلف شمال الأطلسي. لكنه رأى في المقابل أن موسكو قد تلجأ إلى أنشطة عسكرية محدودة الشدة، ولا سيما في منطقة البلطيق، إلى جانب مواصلة الضغط والتدخل ومحاولات الترهيب ضد الدول الأوروبية.

وهنا تحديداً يظهر جوهر «حرب الظل»: العمل في المنطقة الواقعة بين السلام والحرب.

فالهدف ليس بالضرورة اجتياح دولة أو إعلان حرب عليها، وإنما استخدام عمليات صغيرة ومتعددة ومبهمة أحياناً بحيث تكون مؤثرة بما يكفي لإحداث ضرر واضطراب، لكن من دون تجاوز واضح للعتبة التي قد تستدعي رداً عسكرياً جماعياً من حلف الناتو.

لماذا يمكن أن تكون هذه الحرب أخطر؟

خلال الحرب الباردة، كان القسم الأكبر من المواجهة بين المعسكرين يدور ضمن قواعد ردع مفهومة نسبياً، بينما تحاول الحرب الهجينة الحديثة استغلال المساحات الرمادية في هذه القواعد.

هجوم إلكتروني يعطل مؤسسة حكومية، أو عبوة حارقة داخل مستودع لوجستي، أو شخص يُجنَّد لتنفيذ عملية تخريب، أو مسيّرة تظهر فوق مطار أو منشأة عسكرية، أو حملة معلوماتية تستهدف الانقسامات داخل المجتمع، يمكن لكل منها أن يبدو حادثة منفصلة.

لكن تجميعها يخلق مشكلة أمنية مختلفة: متى تتحول سلسلة من العمليات الصغيرة إلى اعتداء منظم من دولة أخرى؟ وما مستوى الأدلة اللازم للرد عليها؟ ومتى يصبح الرد الأمني أو الدبلوماسي غير كافٍ؟

هذه المعضلة تفسر أيضاً استخدام الوكلاء في بعض العمليات. فتجنيد أشخاص غير تابعين رسمياً لجهاز استخبارات يوفر طبقة إضافية من الإنكار ويجعل الوصول إلى الدولة التي تقف وراء العملية أكثر تعقيداً.

وبالتالي لا يقتصر الهدف على الأضرار المباشرة، بل يمتد إلى استنزاف أجهزة الدولة وخلق حالة دائمة من عدم اليقين وإضعاف ثقة السكان بقدرة المؤسسات على حمايتهم.

ألمانيا تعيد كتابة قواعد استخباراتها

هذا التحول في طبيعة التهديد بدأ يغيّر واحدة من أكثر المؤسسات حساسية في ألمانيا: أجهزة الاستخبارات نفسها.

ففي 12 أغسطس/آب، أقرت الحكومة مشروعاً لإصلاح قوانين عمل الاستخبارات، مبررة ذلك بتزايد أخطار التجسس والتخريب والهجمات الهجينة.

ومن المقترحات السماح باستخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي بصورة أوسع لتحليل البيانات، وتوسيع قدرة الاستخبارات الخارجية على الاحتفاظ ببعض محتويات وبيانات الاتصالات، إضافة إلى منح الأجهزة صلاحية اتخاذ ما تسميه الحكومة «إجراءات حماية استباقية» في ظروف محددة.

وضربت الحكومة مثالاً بإمكانية تدخل الاستخبارات لتعطيل خادم موجود في الخارج إذا تبين أنه على وشك استخدامه في شن هجوم إلكتروني على ألمانيا، وذلك عندما لا تستطيع جهات أخرى مثل الشرطة مواجهة الخطر بالفاعلية نفسها.

وفي المقابل، يتضمن المشروع توسيع الرقابة القضائية المسبقة على التدابير الاستخبارية الأكثر تدخلاً في الحياة الخاصة.

أهمية هذه التغييرات تتجاوز الجانب التقني. فأجهزة الاستخبارات الألمانية نشأت بعد الحرب العالمية الثانية في ظل قيود صارمة مرتبطة بالإرث النازي والخشية التاريخية من أجهزة أمن داخلية ذات صلاحيات واسعة.

لذلك فإن استعداد برلين اليوم لمنح أجهزة الاستخبارات أدوات أكثر نشاطاً يعكس حجم التغير الذي طرأ على تصورها للبيئة الأمنية.

التحذير يمتد خارج ألمانيا

لكن برلين ليست وحدها في هذا التقييم. ففي اليوم نفسه الذي تحدث فيه دوبرينت عن «حرب الظل»، حذر رئيس جهاز الأمن والمعلومات التشيكي ميخال كوديلكا من احتمال لجوء روسيا خلال الأشهر المقبلة إلى عمليات أكبر وأكثر خطورة في دول الناتو الداعمة لأوكرانيا.

وطرح كوديلكا سيناريوهات تبدأ بعمليات تخريب ضد منشآت مرتبطة بإمدادات أوكرانيا، وقد تصل إلى هجوم بمسيّرة أو صاروخ على مستودع أسلحة مخصص لكييف. لكنه شدد على أن سيناريو تنفيذ عمل عسكري روسي محدود ضد إحدى دول الحلف المجاورة ليس تهديداً فورياً في الوقت الحالي، مشيراً إلى أن القوات الروسية مركزة أساساً في أوكرانيا.

وفي السابع من أكتوبر/تشرين الأول، اتفقت ألمانيا وبريطانيا على إطلاق شراكة مشتركة لمواجهة التخريب والهجمات السيبرانية، تشمل تبادل المعلومات وتنسيق مراقبة وردع وتعطيل الأخطار الموجهة ضد البنية التحتية الحيوية، وقال الجانب البريطاني إن الخصوم، «وخاصة روسيا»، يمثلون تهديداً هجينا متزايداً لأوروبا.

وجاء أحدث تأكيد للاتجاه نفسه من بريطانيا في 13 أكتوبر/تشرين الأول، عندما قال مدير جهاز الأمن الداخلي MI5 كين ماكالوم إن تهديدات الدول ضد بريطانيا تضاعفت أربع مرات خلال العقد الماضي، وإن جهازه يخصص لها حالياً موارد أكثر مما كان يخصص أثناء الحرب الباردة.

ووصف ماكالوم روسيا بأنها «المعتدي الأول»، معتبراً أنها تصعّد الحرب الهجينة ضد حلفاء أوكرانيا مستخدمة أساليب تبقى دون مستوى الحرب التقليدية. موسكو رفضت كذلك الاتهامات البريطانية.

حرب هدفها ما هو أبعد من المنشآت

إذا جُمعت هذه التحذيرات، يتضح أن المخاوف الأوروبية لا تتعلق فقط بحماية مطار أو شبكة كهرباء أو قاعدة عسكرية. الهدف الذي تخشى أجهزة الأمن الأوروبية أن تسعى إليه هذه العمليات هو أوسع: رفع تكلفة استمرار دعم أوكرانيا، واختبار قدرة الحكومات على الرد، وإرباك عملية اتخاذ القرار داخل الناتو، وإضعاف ثقة المجتمعات بمؤسساتها الأمنية والسياسية.

وهذا يفسر لماذا يصف المسؤولون الألمان المواجهة بأنها «حرب ظل». فمن منظورهم، قد تكون المواجهة قد بدأت بالفعل، لكن من دون دبابات تعبر الحدود أو إعلان رسمي للحرب.

وفي الوقت نفسه، يبقى ضرورياً التمييز بين التحذير من الحرب الهجينة والقول إن أوروبا تقف أمام حرب روسية تقليدية وشيكة. فرئيس الاستخبارات الألمانية نفسه قال إنه لا يرى مؤشرات على هجوم روسي واسع قريب على الناتو، كما تنفي موسكو باستمرار وجود خطط لديها لمهاجمة دول الحلف.

وبهذا تصبح المعضلة الأوروبية أكثر تعقيداً: كيف يمكن ردع خصم من تنفيذ عمليات تبقى عمداً أقل بدرجة واحدة من الحرب؟

ربما يكون هذا السؤال، أكثر من عبارة «الحرب الباردة»، هو ما يفسر التحول الجاري في السياسة الأمنية الألمانية. فبرلين لا تستعد فقط لاحتمال حرب مستقبلية، بل تعيد بناء أدواتها الأمنية على فرضية أن جزءاً من المواجهة يجري بالفعل الآن، داخل الشبكات الرقمية، وحول المطارات والمنشآت الحيوية، وفي المساحة الرمادية التي تفصل بين السلم والحرب.